

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي (الهضاب العليا، الشرقية الجزائرية)

Three prehistoric Algerian archaeological sites in the province of Oum El Bouaghi (High Plateaus, Eastern Algeria)

موسى خليل*

جامعة الجزائر 2 - الجزائر-

khelil.moussa@univ-oeb.dz

عزيز طارق ساحد

جامعة الجزائر 2 - الجزائر-

aziz.tarik.sahed@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام 2025/11/30 تاريخ القبول 2025/12/08

الملخص

تعد مرحلة ما قبل التاريخ لشمال إفريقيا من الفترات الحيوية التي تكشف الكثير عن تطور الإنسان وثقافته. وفي هذا السياق، قمنا بدراسة بيبولوجرافية وميدانية، بحدود التراخيص اللتي بمتناولنا، لثلاثة مواقع مهمة في منطقة أم البواقي بالهضاب العليا الشرقية، وهي مواقع: فيض السوار (بلدية ام البواقي)، بوزابوين (بلدية عين مليلة)، وعيون بريش (بلدية بريش) وتضاريسيا بين مواقع جبلية، سهلية وسهلية مرتفعة.

موقع فيض السوار موقع سهلي منخفض، وبالاتماد على الدراسات الانثروبولوجية، تم تسليط الضوء على عملية زرع الضرس، وهي ممارسة قديمة تعكس تطور الفكر الطبي لدى الإنسان الأول، وتظهر كيف أن هذه الممارسات كانت لها تأثيرات على الإنسان الحديث. أما بالنسبة لموقع بوزابوين، الموقع الكهفي الجبلي، وعيون بريش الواقع بالسهول المرتفعة، فقد أظهرت الدراسات المتخصصة في الصناعات الحجرية الما قبل تاريخية الأولى أهمية هذه المواقع في تشكيل الفكر الصناعي. خلال الزيارة الميدانية، قمنا بتحديد المواقع جغرافياً ووصف التضاريس المحيطة بها، بالإضافة إلى توثيق الزيارة من خلال التقاط صور للمواقع الثلاثة. هذه الخطوات تعزز فهمنا لتاريخ المنطقة والتعريف به من اجل المساهمة في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري والحياة الانسانية.

الكلمات المفتاحية: العصر الحجري القديم المتأخر، أم البواقي، موقع فيض السوار، موقع بوزابوين، موقع عيون بريش .

Abstract:

The prehistoric phase of North Africa is one of the vital periods that reveals much about the evolution of humans and their culture. In this context, we conducted a comprehensive bibliographic field study of three important sites in the Oum El Bouaghi region of the eastern highlands: the Feid Souwar site, the Bouzabouin site, and the Ayoun Brich site. At the Feid Souwar site, relying on anthropological studies, we highlighted the process of tooth implantation, an ancient practice that reflects the development of medical thought in early humans and demonstrates how these practices influenced modern humans. As for the Bouzabouin and Ayoun Brich sites, specialized studies on early prehistoric stone industries have shown the significance of these sites in shaping industrial thought. During the field visit, we geographically identified the sites and described the surrounding terrain, in addition to documenting the visit by taking photos of the three sites. These steps enhance our understanding of the region's history and contribute to the preservation of Algerian cultural heritage.

Keywords: Upper Paleolithic, Oum El-Bouaghi, Feid Suwar site, Bouzaboin site, Ayoun Bresh site

* المؤلف المراسل

مقدمة:

الالتفاف للعطاء الاثري للمواقع الاثرية امر مهم، خاصة ان عملية البحث حاليا تدخل بباب الصعب او المستحيل لأسباب تسييرية قانونية (1) وأسباب اقوى منها وهي العوامل الطبيعية التي اثرت بشكل واضح على معالم واللقى الاثرية عموما ونخص فترة ما قبل التاريخ ونخصص، فترة العصر الحجري القديم المتأخر بولايتنا، طبعاً دون اهمال العامل البشري والذي بحال دراستنا يبدو بمعظم النقاط انه بريء من اندثارها وان الاندثار طبيعي اكثر منه بشري بالمواقع المتواجدة بتضاريس صعبة ولا يبرء البشر من اندثار معالم رائعة بحسب وصف من ذكرها من باحثين او من عاصرها من سكان المنطقة ونقلها الموروث الشفهي رغم قلته لرحيل الكثير للمدن. المواقع في معظمها، تقع بالسهول وقرب منابع المائية وعلى السبل الموصلة للتجمعات الريفية اوشبه الحضرية بحكم الحركية خاصة الحيوانية والتي هي أساس الحياة الاقتصادية الأولى مع الزراعة للمساحات الكبرى لمنتوج الحبوب الغذائية.

بالمواقع ان كانت اللقى لها أهمية علمية ومسجلة بأعمال بحثية لمختصين، فتلك الكنوز العلمية، هي البعد الإنساني للأثار والتسجيل الملموس للنتاج الفكري للبشر عموما وللمنتج ومنطقته بالخصوص بالكرونولوجية الحضارية والتاريخية وهو الدليل لتواصل بشري لان معظم المواقع محل زيارتنا او اطلعنا تتواجد بمحيط تجمعات سكانية حالية ولها حركية اجتماعية وفلاحية.

ولاية ام البواقي الواقعة بالهضاب العليا الشرقية المعروفة بتواصل الاستيطان البشري من عين لحنش، بحكم افتراضي مؤسس على القرب الجغرافي، الى اثار الدول الإسلامية والتواجد العثماني

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ——— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد عبورا لحقبة للاستعمار الفرنسي ووصولاً ليومنا هذا مع تسجيل أهمية حضارية للتجمعات السكنية الأثرية خاصة بالفترات القديمة.

ولاية أم البواقي تحدها إدارياً سبع ولايات معروفة بأثارها، بل منها الشهيرة جداً بأثارها، والبارزة، سياحياً وعلمياً بلقاها التي سجلت أحداثاً تاريخية مهمة من تاريخ البشرية وبعيداً عن الحدود الإدارية وبتبني المسالك الطبيعية فلا يفصلها على ولاية سطيف أرض عين لحنش الحضارة الأقدم بشمال إفريقيا وأقل من مائة كيلومتر وهو الأمر نفسه بالنسبة للحدود التونسية، الأرض التي بها المواقع النمطية للعديد من الحضارات ومن أبرزها الحضارة القفصية القلب النابض للحركة البشرية بشمال إفريقيا قبل الدخول لمرحلة.

1: ليس نقداً، بل دعماً لضبط عمليات التعامل مع المواقع الأثرية خاصة السائرة للاندثار النهائي. النيوليتيك وفجر التاريخ، المسجل بوضوح بإقليم ولايتنا محل الدراسة بالأخص بالشمال الغربي للولاية بمنطقة سيقوس.

بالأطلس الأثري لستيفان غزال نجد أن عدد مواقع كل الحقب بولاية أم البواقي يقارب الأربع مئة ومتواجدة على الأوراق الخرائطية رقم 28 لعين البيضاء رقم 27 لباتنة رقم 17 لقسنطينة وعلى رقم 18 سوق أهراس وهذا يؤكد الجغرافية الشاسعة للولاية باعتبارها مواقع لمختلف العصور والحضارات التي كانت الجزائر مسرحاً لها تاريخياً وشمال إفريقيا ما قبل تاريخياً. ومن أبرز ما نسجله من ملاحظات من وعن خرائط ستيفان غزال:

- المواقع عائدة لمختلف الحقب
- قلة المواقع الماقبل تاريخية وإشكالية مصطلح هنشير
- أكثرية المواقع عائدة للحقبتين الرومانية والبيزنطية
- ندرة المواقع الإسلامية إلى انعدامها

من أبرز المواقع الأثرية المتعددة والعائدة لكل الفترات تزخر ولايتنا محل الدراسة بمساحات شاسعة تتواجد بها، المواقع الفجر تاريخية والتي تتمركز خصوصاً بإقليم بلدية سيقوس وتضم الآلاف من الدولمن والمنهير والبازيما والكرملغ وتتواجد بتعداد أقل بمناطق أخرى وإن كانت تعرضت للاندثار أولاً تزال مردومة تحت الأرض.

يهدف عملنا البحثي للتعريف بمواقع أثرية بعضها لها باع علمي كبير بل يمكن اعتباره كبير جداً، وأخرى ممكن تحتاج للدراسة لتحرج مكنوناتها لأن المعطيات الأولية والبسيطة والسطحية ترشحها لذلك.

بعملنا البحثي البيبلوغرافي تبيننا طريقة الوصف للتعريف بمواقعنا مع السعي لتعدد الأبحاث المطلع عليها وكان عملنا كما هو موضح : مقدمة تعريفية ثم نقطة للتعريف بالولاية وبمعطياتها الطبيعية ثم العمل المحوري، المواقع والتي كان تناولها وفق منهجية مبسطة، الاسم، الموقع، إن وجدت معطيات طبيعية تعطي الخاصية للموقع، ثم الأبحاث التي كان موقعنا مسرحاً لها وأهم الاستنتاجات

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ————— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد العلمية الاثرية المستقاة وختم العمل بالطريقة الكلاسيكية لكل بحث بخاتمة ضمناها افاق البعث بالمنطقة ونصل لوضع خريطة مبسطة موضحة للتوزع الجغرافي للمواقع ذات الأهمية العلمية مع انتمائها الحضاري، املا ان تكون أرضية أولية لأبحاث مستقبلية بالمتبقي من هذه المواقع.

1-التعريف بالولاية:

معطيات مبسطة، للتعريف بالولاية فيزيائيا:

1-1- الموقع الجغرافي

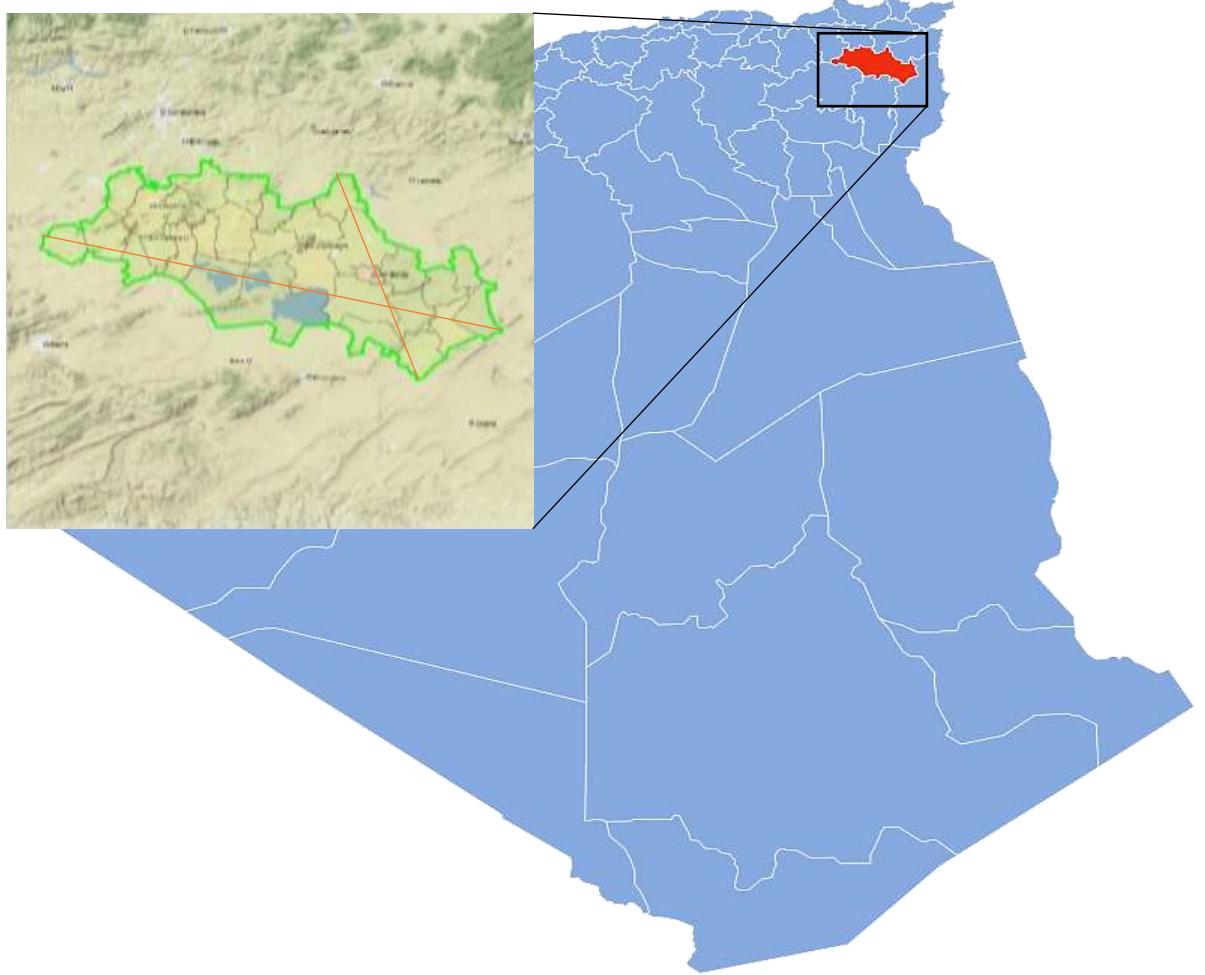
تتموقع ولاية أم البواقي في قلب الهضاب العليا الشرقية، وهي منطقة تتميز بخصائص طبيعية ومناخية خاصة جعلتها تمثل حلقة وصل بين الشمال التلي ذي الطابع المتوسطي والجنوب شبه الصحراوي. تمتد الولاية بين دائرتي عرض 35°25' و 36°11' شمالاً، وبين خطي طول 06°10' و 07°50' شرقاً، ما يمنحها موقعاً استراتيجياً يربطها بأهم المحاور الطرقية الوطنية والجهوية في شرق البلاد¹. وتمتاز تضاريسها بكونها شبه سهلية يتراوح ارتفاعها بين 700 م و 1000 م فوق مستوى سطح البحر، وهوما ينسجم مع الخصائص الجيومورفولوجية للهضاب العليا، التي تتخللها سهول داخلية واسعة ومرتفعات متفرقة ذات طبيعة كلسية وجيرية².

ويُعد جبل قريون الواقع ضمن إقليم بلدية عين مليلة أبرز تضاريس الولاية، إذ يشكل استثناءً مورفولوجياً يصل ارتفاعه إلى 1729 متراً، ما يجعله أعلى نقطة في المنطقة، كما يمثل من الناحية البيئية خزاناً مناخياً طبيعياً يساهم في تعديل درجات الحرارة وفي تشكيل نظام هيدرولوجي خاص بالمناطق المحيطة³.

وتحوز ولاية أم البواقي على حدود واسعة مع سبع ولايات جزائرية، مما يزيد من أهميتها الاستراتيجية والتنموية. يحدّها من الشمال والشمال الشرقي ولايات سوق أهراس، قالمة وقسنطينة، ومن الشمال الغربي ولاية ميلة، بينما تحدها من الجنوب ولايتا باتنة وخنشلة، ومن الشرق والجنوب الشرقي ولاية تبسة. هذا الانفتاح على عدة وحدات إدارية يمنحها دوراً محورياً في المبادلات الاقتصادية والاتصالية بين شرق الجزائر ووسطها، وبين الهضاب العليا والحدود الشرقية⁴.

وتُصنف ولاية أم البواقي كولاية "عرضية" نظراً لاتساع امتدادها الأفقي، حيث تصل المسافة بين أبعد نقطتين شرقاً وغرباً إلى حوالي 159 كلم، بين بلديتي بئر الشهداء غرباً وبلالة شرقاً. أما الامتداد من الشمال إلى الجنوب فيُقدّر بمسافة معتبرة تمتد بين قصر الصبيحي في أقصى الشمال والضلعة في أقصى الجنوب، وهوما يمنح الولاية تنوعاً بيئياً وجغرافياً يؤثر على أنماط النشاط الزراعي والعمراني والاقتصادي بشكل مباشر⁵.

إن موقع ولاية أم البواقي، الممتد والمتنوع بيئياً واستراتيجياً، جعلها منطقة ذات مقومات طبيعية غنية، ومجالاً مناسباً لتطور النشاط الفلاحي والرعي، إضافة إلى كونها حلقة وصل بين المناطق الشرقية والهضاب العليا، مما يعزز من أهميتها الإقليمية والوطنية.



المصدر: http://www.citypopulation.de/en/algeria/admin/04__oum_el_bouagui

1-2- التضاريس والمناخ :

تتميز ولاية أم البواقي بتنوع واضح في تضاريسها ومناخها، وهوتنوع يعكس الموقع الجغرافي الانتقالي الذي تشغله بين الهضاب العليا الشرقية والمناطق شبه الجافة من جهة، والمناطق ذات التأثير المتوسطي من جهة أخرى. فالولاية تقع في منطقة جيومورفولوجية وسطى تفصل بين الجبال التلية شمالاً والسهوب شبه الصحراوية جنوباً، مما يمنحها خصائص طبيعية فريدة تميزها عن ولايات الشرق الجزائري الأخرى.⁶

أولاً: التضاريس

يغلب على تضاريس الولاية طابع الهضاب المرتفعة ذات الانبساط النسبي، حيث تتراوح الارتفاعات بين 700 و1000 متر فوق مستوى البحر، مع بعض الانكسارات التضاريسية الناتجة عن الحركات

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ——— أ. موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد

التكتونية القديمة والمكونة لهضاب صخرية ومناطق كلسية وجيرية،⁷ وتنتشر عبر الولاية سهول داخلية من أهمها سهل أم البواقي وسهل عين البيضاء، وهي سهول تمتاز بخصوبتها النسبية مقارنة ببقية مناطق الهضاب العليا، ما مكّنها تاريخياً من دعم النشاط الزراعي والتوسع العمراني.⁸ وتتخلل هذه السهول مرتفعات جبلية متفرقة، من أبرزها جبل قريون الذي يمثل أعلى قمة في الولاية بارتفاع 1729 مترًا، والذي يضيف على المنطقة تباينًا واضحًا في الانحدارات والغطاء النباتي. كما تنتشر في الولاية مجموعة من الوديان الموسمية مثل وادي مزي ووادي شير، وهي مجار مائية تلعب دورًا مهمًا في تغذية الموائد المائية الجوفية وفي تشكيل التربة عبر الزمن.⁹ وتحتوي الولاية كذلك على منخفضات طبيعية تُعرف محليًا بالـ "شعاب" و"السباخ"، وهي مناطق تجمع للمياه خلال الفترات الممطرة، وتتركز خصوصًا في المناطق الجنوبية ذات الطابع الشبه السهبي، مما يجعلها بيئة رعوية مناسبة للنشاط الفلاحي التقليدي.¹⁰

ثانيًا: المناخ

يُصنف مناخ ولاية أم البواقي ضمن **المناخ القاري شبه الجاف**، وهو مناخ وسيط يجمع بين التأثيرات المتوسطة القادمة من ولايات قسنطينة وميلة وقالة شمالًا، والتأثيرات الصحراوية القادمة من باتنة وخنشلة وتبسة جنوبًا وشرقًا. وينتج عن هذا التلاقي المناخي **تباين واضح بين الفصول**، حيث تكون الشتاء باردة وممطرة نسبيًا، مع تسجيل موجات صقيع وتساقط للثلوج في المرتفعات، بينما تكون **الصيف حار وجاف** مع معدلات تبخر مرتفعة تصل إلى مستويات تؤثر على الزراعة البعلية.¹¹

وتتراوح معدلات الأمطار بين 350 و500 ملم سنويًا في المعدل، مع توجه نحو الانخفاض كلما اتجهنا جنوبًا وشرقًا بسبب ازدياد التأثيرات شبه الصحراوية. وتخضع كميات الأمطار إلى **عدم انتظام كبير بين السنوات، مما يجعل المنطقة عرضة للجفاف الدوري الذي يؤثر على الغطاء النباتي والموارد المائية واستغلال الأراضي.¹²

أما درجات الحرارة، فتشهد تباينًا فصليًا ملحوظًا، إذ قد تنخفض شتاءً إلى ما دون الصفر خصوصًا في المرتفعات، وترتفع صيفًا إلى أكثر من 38°م في السهول الجنوبية. ويسهم هذا التباين في تشكيل نمط زراعي يعتمد على المزروعات المقاومة للجفاف مثل الحبوب ومزارع الأشجار المثمرة ذات القدرة على التأقلم.¹³

وبسبب هذا التنوع المناخي والتضاريسي، تميزت ولاية أم البواقي بتعدد الأصناف النباتية الطبيعية مثل الحلفاء والشيخ والعراعر في المناطق المرتفعة، إضافة إلى المساحات الفلاحية الواسعة في السهول الداخلية، مما يجعلها منطقة ذات إمكانات فلاحية وبيئية متوسطة إلى جيدة رغم التحديات المناخية.

1-3- معطيات جيولوجية (القراءة الوظيفية للمعطيات الجيولوجية) :

بحكم علاقات لاختصاصات فالجيولوجيا العلم الذي له اهله وارثه وافاقه، نجد فيه نحن اهل ما قبل التاريخ ضالتنا ليعطينا الأوليات والدقائق والنتائج بخصوص المادة الأولية للمنتوج الحضاري وما مدى سعي الانسان لتحصيل تلك المادة، امتلاكاً وإنجازاً.

انسان ما قبل التاريخ لاحتياجاته بحث عن مواد صلبة وبالتأكيد في طريقه لذلك يكون استعمل مواد اقل صلابة واعتزلها لقلة مردوديتها، بإقليمنا الجغرافي يتواجد بكثرة مادتين يمكنهما الإجابة على مطالب صانع حجارة ما قبل التاريخ ونتائجنا معتمدة على عمل الجيولوجيون.

الكوارتز والصوان، تتواجدان بتركيز جغرافي، فمادة الكوارتز المحلية والتي تصل قوة قساوتها الى 10/07 من سلم الصلابة الصخرية المعتمد على 10/10 كاقصى تقدير، مادتنا الأولية الكوارتز مكوّنة من السيليس SiO₂، عموماً موجود بالحجارة النارية (الماغماتية)، كما يمكن ان يكون من طبيعة (تكوين) رسوبية.

بالمنطقة الجغرافية محل الدراسة الكوارتز موجود بكثرة منسجم بالحجارة (الصخور)، وبالتركيبات الترابية وخاصة بمنطقة توزلين (منطقة تقع غرباً ببلدية ام البواقي)، ويمكن ان نجده أيضاً بأشكال مختلفة: درنات (nodules)، او اسرة متداخلة (غير منظمة).

اما الصوان silex، فهو أيضاً صخرة مكوّنة من السيليس الصلب ويختلف عن الكوارتز بنسب التركيب بالمادة الأولية مع خاصية تعدد الألوان واشتراكهما في التركيبة الرسوبية.

بمنطقة دراستنا وبالاغتماد على الدراسات الجيولوجية يوجد موقعين مستقلين، الأول بمنطقة سيقوس، اين نجد الصوان الأسود والمتواجد بالتركيبات الجيولوجية داخل صخور كلسية على شكل درنات.

اما لموقع الثاني يقع جغرافياً بين بلديتي عين البيضاء ومسكيانة، اين نجد الصوان متعدد الألوان والأكثر انتشاراً grise – beige، كما نجد الألوان المائلة للسواد او الطاغى عليها اللون الأسود.

بهذه المواقع الصوان متواجد أحياناً على شكل درنات والأكثر انتشاراً، الصوان بالأسرة متفاوتة الترسيب بحدود بعض السنتيمترات.

أيضاً نسجل تواجد الصوان بمنطقة قصر الصبيحي بتركيز الصخور السيليسية والتي تحمل الاسم العلمي الكريات الصفراء (les boules jaunes)، والتي تتعدد ابعادها من بعض السنتيمترات الى أكثر من مترين.

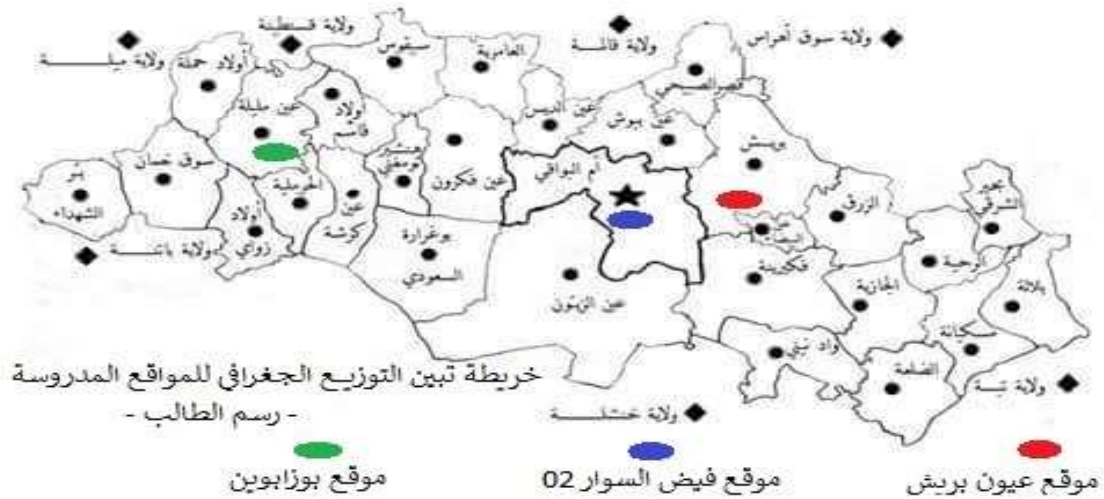
هذه اهم المعطيات الجيولوجية التي يمكن استقائها من الدراسات الجيولوجية بخصوص منطقتنا والتي سنبين ملاحظتنا ومنفعتنا العلمية منها بخاتمة نتاجنا العلمي.

2- المواقع الاثرية ما قبل تاريخية الأكثر عطاء للاختصاص:

بداية البحث بالمنطقة تعود الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون فموقع الصفية ببلدية سيقوس ولاية أم البواقي، موقع عرف الأبحاث الأكاديمية من النصف الأول من القرن التاسع

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ————— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد عشر وتأكيذا زيارات المخربين كبقية مواقع شمال إفريقيا من أزمان غابرة (G.Camps1961)، هذا الموقع مصنف كتراث وطني بالقائمة رقم 900 الصادرة بالجريدة الرسمية الجزائرية رقم 07 المؤرخة في 23 جانفي 1968، ويشترك في ذلك مع موقع رأس العين بومرزوق الذي لا يبعد عنه سوى بمسافة 12 كلم وكلاهما كانا تابعين لولاية قسنطينة وحولهما التقسيم الإداري لسنة 1984 ليتبع الإقليم الجغرافي لولاية أم البواقي كما يبينه أطلس الحدود الإدارية لبلديات ولاية أم البواقي المنشئ وفق القانون 09-84 المؤرخ في 04 فيفري 1984.

المواقع الاثرية الما قبل تاريخية



اما الأبحاث بمواقع ما قبل التاريخ الكلاسيكية والمنتشرة بكثرة بالمنطقة والعائدة للفترة القفصية بعمومها، فاقدمها المسح الاثري الذي تم بعد اكتشاف مغارة بوزابوين، سنة 1900 من طرف Robert الذي تواصلت به الأبحاث بحفرية المختص Debruge سنة 1916 وكانت به أبحاث او زيارات علمية نذكر منها حفرة 1962 والتي أشرف عليها الباحث Dedieu. كما نشير الى انه بين سنتي 1929 و1930، حلت بعثة المتحف الأمريكي Logan muséum والتي اشرف عليها المختص Pont وقامت بحفريات ومسح أثري للكثير من الولايات الشرقية التي ذكرها المختصون الفرنسيون.

غنى المنطقة جعل ابحاث الفرنسيين تتواصل الى ما بعد الاستقلال كأعمال بوخنوفة و Dedieu في ضواحي عين مليلة سنة 1963 وتبعتهما الباحثة Roubet سنة 1967 بموقع كيفان لحدى بإقليم بلدية الحرملية، وبين أبحاث فترة ما بعد الاستقلال وأبحاث الاكتشافات الاولى، كانت اعمال مسح أثري في عمومها، لباحثين نذكر منهم Logeart و Vaufrey سنوات 1937 و1944 وتركزت امالهم بغرب الولاية ومن المواقع التي حفرت موقع جبل المغسل. سنة 1954 قام الباحث Laplace بمسح أثري جنوب بلدية ام البواقي واكتشف موقع فيض السوار الذي كان مسرحا لحفيرة أعطت نتائج جد مهمة

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ————— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد منها بقايا إنسانية تحمل اثار تعاملات عقائدية وطبية. وبالملاحظة والمقارنة فان الابحاث الاثرية بمنطقة ام البواقي كانت من أوائل الأبحاث اومتزامنة مع أولى الاكتشافات وطنيا 1963 Texier، الذي يذكر ان اول حديث عن الصوان المصقول للعصر الحجري القديم المتأخر بغرب شمال افريقيا يعود لسنة 1872.

2-1- موقع فيض السوار:

يُعد موقع فيض السوار من بين أهم المواقع الأثرية المكتشفة في ولاية أم البواقي، بل ومن أقدمها على مستوى الهضاب العليا الشرقية، نظراً لطبيعته الجيومورفولوجية ومحتوياته الأثرية العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ. ويقع هذا الموقع الحيوي على مسافة تقل عن ستة كيلومترات جنوب مدينة أم البواقي، أي بالقرب من النواة الاستعمارية الفرنسية القديمة التي شكّلت لاحقاً الامتداد الحضري للمدينة.¹⁴

ويتموضع الموقع تحديداً شرق الوادي الشبه جاف المعروف اليوم باسم **فيض السوار**، وهو وادٍ موسمي ساهم عبر العصور في تشكيل تراكمت رسوبية وفحمية تساعد على حفظ اللقى الأثرية. ويضم الموقع نقطتين أثريتين متميزتين من حيث الشكل والطبقات، تُعرفان علمياً باسم **الرماديتين**، وهما كومات رسوبية ذات طبيعة فحمية ورمادية اللون ناتجة عن نشاط بشري قديم ارتبط غالباً بعمليات الطهي والتجمعات البشرية المتكررة عبر فترات زمنية طويلة.¹⁵

2-1-1 وصف الرماديتين:

-الرمادية الأولى:

تقع في نقطة تقاطع وادي فيض السوار مع سرير وادٍ صغير جاف، ويبلغ قطرها حوالي 60 متراً وعمقها 2.5 متر، وهي خصائص تدل على نشاط بشري مكثف ومستقر نسبياً على مدى فترات زمنية متعددة.

-الرمادية الثانية:

تقع جنوب الأولى، ويبلغ طولها حوالي 200 متر، وتضم قمتين يتراوح ارتفاعهما بين 1 متر و2.5 متر، مما يعكس تعدد المراحل الحضارية التي عرفها الموقع وتنوع الأنشطة البشرية.¹⁶

2-1-2 الاكتشاف والتنقيبات الأثرية

تم اكتشاف موقع فيض السوار لأول مرة بين سنتي 1929 و1931 من طرف البعثة الأمريكية التابعة لـ متحف لوغان Logan Museum خلال حملات استكشافية هدفت إلى دراسة فترات ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا. وبعد ذلك، قام الباحث الفرنسي Laplace ببرمجة وتنفيذ حملة تنقيبات منظمة سنة **1954**، مما عزز فهم الطبقات الرسوبية ومخلفات الحضارة الإنسانية بالموقع.¹⁷

وتشير نتائج التنقيبات إلى أن الموقع يحتوي على أدلة واضحة لانتمائه إلى **الحضارة القفصية** (**Capsien**)، خاصة من خلال الأدوات الحجرية، عظام الحيوانات، المواقد، والرماد المتراكم. وتُظهر الدراسة الطباقية وجود مستويين حضاريين مهمين:

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ——— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد

-المستوى القفصي العلوي الأوسط.

-المستوى القفصي العلوي النهائي

وهذا يدل على أن الموقع شهد استيطاناً بشرياً متواصلاً خلال المراحل المتقدمة من الحضارة القفصية.¹⁸

2-1-3-البقايا العظمية الإنسانية

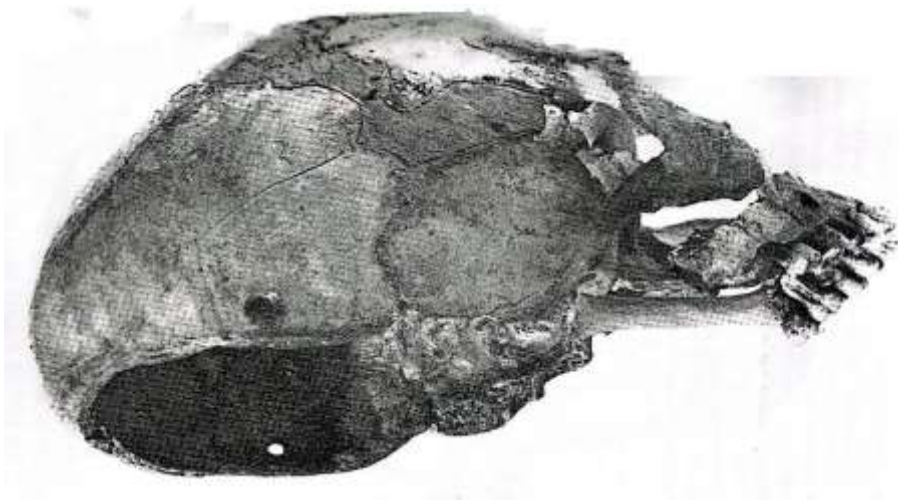
يُعد العثور على خمس هياكل بشرية مدفونين أبرز الاكتشافات التي أٌكسبت موقع فيض السوار أهمية عالمية، إذ أثبتت التحليلات الأنثروبولوجية أنها تعود إلى إنسان يُعرف في الأدبيات الأنثروبولوجية باسم الإنسان العاقل قبل المتوسطي** Protoméditerranéen ، وهونموذج بشري انتشر سابقاً في مناطق شمال إفريقيا قبل تشكل التركيبة البيولوجية للإنسان المتوسطي الحديث.¹⁹ وتنتمي هذه الهياكل إلى فترة قفصية متقدمة، وتُظهر خصائص مورفولوجية مهمة مثل بنية الجمجمة، عرض الحوض، ونمط الدفن، ما يؤكد الطابع الطقوسي للدفن في هذا الموقع، ويعطي للباحثين فرصة لإعادة بناء الحياة الثقافية والنشاط الإنساني في المنطقة خلال فترة ما قبل التاريخ.

2-1-4-الأبحاث الحديثة وأهمية الموقع:

شهد الموقع زيارة واستكشافاً ميدانياً سنة 2019 من طرف فريق بحث جزائري مختص، غير أن المعطيات العلمية لم تُنشر رسمياً، وتم تداول أخبار الزيارة عبر وسائل الإعلام فقط. ورغم محدودية المعلومات المنشورة، إلا أن الاهتمام العلمي الذي حظي به الموقع يؤكد قيمته الأثرية الكبرى وأهميته بالنسبة لعلماء الآثار، الأنثروبولوجيا، وعلم البيئة القديمة.²⁰

ويُعد الموقع اليوم من أهم المراجع لفهم تطور المجتمعات القفصية في الجزائر، ودراسة التحولات البيئية التي مرّت بها منطقة الهضاب العليا خلال العصر الحجري الحديث.

جمجمة فيض السوار II التي يؤكد الباحثون أنها عرفت غرس ضرس.



- صورة من مقال H.VALLOIS -

2-2- موقع بوزابين:

يمثل موقع بوزابين أحد أقدم وأهم المواقع ما قبل التاريخ في منطقة عين مليلة، وهو يقع ضمن تشكيلات كارستية طبيعية تتجسد في مغارتين بارزتين شكّلتا عبر الزمن فضاءً ملائماً لاستيطان الإنسان القديم واستغلال الموارد الطبيعية. ويعتبر هذا الموقع محطة أساسية لفهم تسلسل الحضارات الحجرية بالشرق الجزائري.

2-2-1- اكتشاف الموقع ومسار البحث العلمي:

ظهر موقع بوزابين لأول مرة على خريطة الدراسات الأثرية سنة 1900، حين اكتشفه الباحث Robert في إطار عمليات مسح أثري واسعة شملت سلسلة الكهوف والغارات المنتشرة في المنطقة. وقد أسهم هذا الاكتشاف الأولي في توجيه الأنظار نحو الموقع، مما دفع بالباحث Debruge إلى إجراء حفريات منهجية سنة 1916 تعدّ الأولى من نوعها في عين مليلة، حيث وضع أسساً أولية لفهم طبقات الاستيطان البشري داخل المغارتين²¹.

تواصل الاهتمام بالموقع بعد ذلك عبر زيارات وبحوث متفرقة، وصولاً إلى الحفريات الهامة التي أشرف عليها الباحث Dedieu سنة 1962، والتي تعد محطة رئيسية في تاريخ الموقع لأنها كشفت عن معطيات أثرية أوفر وأكثر وضوحاً تتعلق بطبيعة العتاد الحجري والصناعات العظمية والفخار.

2-2-2- المكتشفات الأثرية ودلالاتها الحضارية:

أظهرت الحفريات التي أجريت بالموقع وجود مجموعة من اللقى المهمة التي تنتمي إلى فترات ما قبل التاريخ المتأخرة، وهي تعكس نمطاً اقتصادياً قائماً على الصيد وجمع القوت، مع بداية ظهور بعض مظاهر الاستقرار النسبي.

أهم المكتشفات التي تم تسجيلها:

-مكاشط حجرية استُخدمت في سلخ الجلود، تجهيز الألياف، ومعالجة المواد العضوية.
-رؤوس سهام ذات أشكال مختلفة، ما يدل على اعتماد كبير على الصيد، وربما تطور تقنيات القذف والرمي.

-صناعة عظمية متنوعة تشمل أدوات مصقولة ومستنّنة، وهوما يعكس مهارة تقنية تظهر عادة في المجتمعات المتطورة خلال العصر الحجري المتأخر.

-فخار مزين بنقوش هندسية بسيطة، يؤشر إلى بداية التحول نحو أنماط معيشية قريبة من مرحلة الاستقرار، وربما بداية التجارب الأولى للإنسان في تخزين المواد الغذائية.

-أدوات طحن محتملة قد تكون مرتبطة بطحن الحبوب أو النباتات البرية، مما يفتح فرضية حول وجود نشاط غذائي أكثر تنوعاً من مجرد الصيد.

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ——— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد تكشف هذه المواد عن ثقافة مادية متقدمة نسبياً، تتمازج فيها تقنيات العصر الحجري المتأخر مع بدايات ظهور الصناعات الفخارية، وهو ما يجعل موقع بوزابين نقطة انتقالية مهمة لفهم التحولات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة.

2-2-3- القيمة العلمية للموقع:

- إن أهمية موقع بوزابين لا تكمن في تنوع مكتشفاته فحسب، بل في كونه:
- يقدم تسلسلاً طبقيًا واضحًا يمكن من خلاله تتبع تطور الإنسان القديم في الشرق الجزائري.
- يشكل إضافة مهمة لقاعدة البيانات الأثرية المتعلقة بمواقع ما قبل التاريخ في منطقة الهضاب العليا الشرقية.
- يساهم في فهم العلاقات بين مواقع العصر الحجري المتأخر في شمال إفريقيا، وخاصة ارتباطاته المحتملة بحضارات مثل القفصية والعاترية في فترات أقدم²².

صورة من خزائن متحف قسنطينة تبين موقع وكهف بزابوين وبعض أدواته.

- صورة للطلاب -

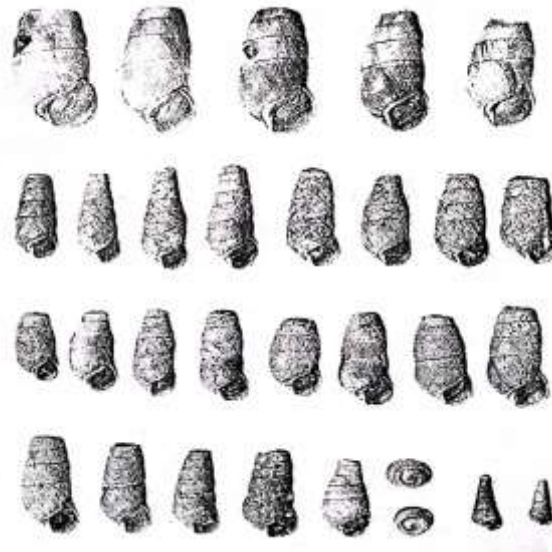


2-3- موقع عيون بريش:

يُعد موقع عيون بريش أحد المواقع الأثرية المهمة في المرحلة ما قبل التاريخية لشمال إفريقيا، إلا أنه يظل مجهولاً نسبياً لدى العديد من المتخصصين، رغم الإشارات المتعددة إليه في الأدبيات العلمية. فقد ورد ذكر الموقع، إلى جانب ثلاثة مواقع أخرى، ضمن خريطة المغرب (شمال إفريقيا) للعصر العصري القديم المتأخر، حيث يحمل الرقم 37، ويُعرف أيضاً باسم Site 12 حسب ترقيم البعثة

ثلاث مواقع أثرية جزائرية ما قبل تاريخية، بولاية أم البواقي ——— أ. / موسى خليل / أ. عزيز طارق ساحد المتحفية الأمريكية التي قامت بدراسته²³. كما أشار إليه قاموس مائل التاريخ لمؤلفه لورواقورون ضمن المواقع المهمة ذات الطابع الكهفي والسهلي²⁴. يقع الموقع ضمن بلدية بريش التي تحمل نفس الاسم، شمال شرق عاصمة ولاية أم البواقي، وتخضع إدارياً لدائرة عين البيضاء. يتميز الموقع بتضاريس سهلي مرتفع، ما يجعله مناسباً للاستيطان البشري القديم وممارسة الأنشطة اليومية، كما تشير الدراسات الجغرافية والأنثروبولوجية³. رغم زيارات الباحثين وأهالي المنطقة على مدى عقود، أكد السكان المحليون من مختلف الأجيال والثقافات أنهم لم يشاهدوا الموقع بعد الاستقلال، إلا أن الموروث الشعبي يشير إلى أن الموقع كان معروفاً واستغل من قبل باحثين وأجانب لدراسة النشاط البشري القديم²⁵. هذا يشير إلى أهمية توثيق هذا الموقع والحفاظ على معطياته قبل اندثاره التام، إذ يعكس الموقع طابع الحياة اليومية للإنسان القديم والأنشطة الصناعية والزراعية البدائية. تُظهر الدراسات الميدانية والوثائقية أن الموقع كان يحتوي على أدوات حجرية وأوان فخارية بدائية، إضافة إلى معطيات عن ممارسات طبية وتقنية في العصر الحجري المتأخر، والتي تعكس مدى تطور الفكر الصناعي والطبي للإنسان في المنطقة⁵. كما يساهم الموقع في فهم انتقال المجتمعات من نمط الكهوف إلى السهول المرتفعة، مع إبراز دور الموارد الطبيعية والتضاريس في تشكيل أنماط السكن والأنشطة البشرية²⁶. إن إدراج موقع عيون بريش ضمن الدراسات الميدانية يساهم في إعادة بناء الصورة التاريخية لمنطقة الهضاب العليا في الجزائر، ويعزز الجهود الرامية إلى حماية التراث الثقافي الوطني وإدراجه ضمن المشروعات البحثية والأنثروبولوجية. عينة من الحلزونات جمعتها البعثة الأمريكية لمتحف لوقان من منطقة أم البواقي.

- تصوير الطالب -



الخاتمة

يمكن القول إن أبرز ما أفرزته الدراسة الميدانية هو الوعي العميق بخطورة الوضع الذي تعيشه المواقع الأثرية ما قبل التاريخ في ولاية أم البواقي. فقد لوحظ أن العديد من هذه المواقع تعرضت لدرجات متفاوتة من **الاندثار والتآكل البيئي والبشري، ما يجعل استمراريتها في خطر شديد، ويضعها أمام احتمال الفقدان النهائي إذا لم تُتخذ إجراءات عاجلة وفعالة للحماية والحفظ. هذا الواقع يؤكد أن الميدان الأثري في المنطقة يواجه تحديات كبيرة تتجاوز الإمكانيات المتاحة، ويضع الباحثين والسلطات المحلية أمام معضلة صعبة، تكاد تصل إلى حد الاستحالة فيما يتعلق بالحفاظ على هذه الكنوز التاريخية في ظل الظروف الحالية.

بالنظر إلى المعطيات العلمية التي تم جمعها خلال الزيارات الميدانية، يمكن ملاحظة التوافق الكبير مع ما سجلته الدراسات السابقة للباحثين المختصين في مجالات الأنثروبولوجيا والصناعات الحجرية، إلا أن المادة الأثرية المتبقية أصبحت نادرة جداً مقارنة بفترة الاكتشافات الأولية، حيث أشار بعض الباحثين الأوائل إلى وفرة وانتشار هذه المواد في مواقع أم البواقي. هذا التناقض بين الماضي والحاضر يعكس مدى تأثير العوامل الطبيعية والبشرية على مواقع ما قبل التاريخ، ويبرز الحاجة الملحة لتوثيق كل ما يمكن توثيقه قبل فوات الأوان.

وعلى الرغم من هذا الواقع الصعب، يمكن التأكيد على أن ولاية أم البواقي تمتلك ثروة أثرية ما قبل تاريخية متعددة ومتميزة، سواء من حيث عدد المواقع أو تنوعها الطبوغرافي بين السهول المنخفضة والسهول المرتفعة والتشكيلات الجبلية. إن التوثيق العلمي لهذه المواقع، حتى وإن كانت بعض مواقعها مهددة بالاندثار، يظل مصدراً قيماً للمجتمع الأكاديمي والأجيال القادمة، حيث يوفر رؤى دقيقة حول التطور الثقافي والفكري للإنسان القديم في الهضاب العليا الشرقية للجزائر.

في النهاية، تؤكد هذه الدراسة أن الحفاظ على التراث الثقافي في أم البواقي لم يعد خياراً، بل ضرورة ملحة، تستدعي تضافر جهود المؤسسات الرسمية والباحثين والمجتمع المحلي لوضع برامج حماية واستراتيجية مستدامة، تشمل التوثيق الميداني، والحفاظ على المواقع، وإشراك المجتمع في الوعي بأهمية هذا التراث. إن غياب هذه التدابير سيؤدي حتماً إلى فقدان إرث ثقافي لا يمكن تعويضه، وهو ما يجعل الدراسة الحالية **نداءً عاجلاً لحماية المواقع الأثرية قبل فوات الأوان.

الهوامش وقائمة المراجع:

- 1 - وزارة الداخلية والجماعات المحلية، 2019، *الأطلس الإداري للولايات الشرقية*، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، ص. 14.
- 2 - معمر بن سعيد، 2017، الجيومورفولوجيا العامة للهضاب العليا الجزائرية*، ط1، دار الهدى، الجزائر، ص. 41.
- 3 - عبد القادر بن جدو، 2020، "الخصائص الطبيعية والمناخية لولاية أم البواقي"، *مجلة الدراسات الجغرافية الجزائرية*، العدد 6، جامعة قسنطينة، ص. 88.
- 4 - يوسف شرايطية، 2018، *التنمية الإقليمية في ولايات الشرق الجزائري*، دار الخلدونية، الجزائر، ص. 57.
- 5 - عبد المالك حداد، 2021، "البنية الجغرافية لولاية أم البواقي وأثرها على التوسع العمراني"، *مجلة جغرافية المدن*، جامعة باتنة 2، العدد 11، ص. 102.
- 6 - بن يحيى، محمد، 2018، الجغرافيا الإقليمية للهضاب العليا الجزائرية**، دار الخلدونية، الجزائر، ص. 22.
- 7 - بوخالف، ياسين، 2019، الجيومورفولوجيا والتحولات الطبيعية في الشرق الجزائري**، جامعة باتنة 1، ص. 37.
- 8 - عبد القادر، شريف، 2020، التحولات العمرانية في الهضاب العليا: دراسة سهل أم البواقي، *مجلة الدراسات الجغرافية*، جامعة قسنطينة، العدد 12، ص. 65.
- 9 - طيبي، عبد الحفيظ، 2017، الهيدرولوجيا العامة للمنطقة الشرقية**، دار الهدى، الجزائر، ص. 49.
- 10 - زغدود، فوزي، 2019، السبخ والوديان في شرق الجزائر: دراسة بيئية"، *مجلة البيئة والتنمية*، العدد 4، ص. 112.
- 11 - مرزوقي، أحمد، 2020، المناخ الجزائري: الخصائص والتغيرات**، ط2، دار الكتاب الجامعي، الجزائر، ص. 33.
- 12 - نايلي، فريدة. "التغير المناخي في الهضاب العليا وتأثيراته"، *مجلة البحوث المناخية*، العدد 9، جامعة تبسة، 2021، ص. 77.
- 13 - بن عبد الله، سميرة، 2018، الزراعة في المناطق شبه الجافة بالجزائر**، دار المعرفة، ص. 144.
- 14 - بولعيد، كمال، 2018، المواقع الأثرية لشرق الجزائر، دار الهدى، الجزائر، ص. 51.
- 15 - G. Camps, 1980, Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord, Paris, p. 63.
- 16 - بوزيان، مراد، 2021، "الدلالات الجيومورفولوجية للرماديات القفصية في شرق الجزائر"، *مجلة الآثار المغاربية*، جامعة تبسة، العدد 7، ص. 121.
- 17 - Logan Museum, 1932, Expedition Reports, *North African Prehistoric Survey*, p. 39.
- 18 Laplace, G. *Recherches sur le Capsien supérieur*, Paris, 1955, p. 203.-
- 19 - محيو، فتيحة، 2019، الأنثروبولوجيا القديمة لشمال إفريقيا، جامعة الجزائر 2، ص. 78.
- 20 - تقرير صحفي، 2019، "فريق بحث وطني يزور موقع فيض السوار"، التلفزيون الجزائري، ص. 10.
- 21 - Robert, 1900, "Exploration préhistorique dans les grottes d'Aïn M'lila", *Revue Africaine*, p. 112-118.
- 22 - Dedieu, 1962, "Fouilles préhistoriques à Aïn M'lila", *Libya: Archéologie et Histoire*, p. 215-201.
- 23 - American Museum of Natural History, 1984, *Excavation Reports: Site 12, North Africa*, New York,.
- 24 - Lorwaquorun, 1992, *Dictionnaire historique des sites préhistoriques d'Afrique du Nord*, Paris,.
- 25 - Khelifa, M., 2010, *Mémoire populaire et sites archéologiques en Algérie*, Constantine: Presses Universitaires de l'Est,.
- 26 - Benamara, S., 2012, *Topographie et occupation humaine des Hauts Plateaux algériens*, Revue Algérienne de Préhistoire, vol. 18, pp. 59-78.